الأوراق الأساسية موجودة بيد اسرائيل لانقاذ أبو مازن وحركته من الورطة

الحرب الأهلية الفلسطينية أصبحت شبه مؤكدة وحماس ستخرج منها منتصرة لان حركة فتح ضعيفة وممزقة

■ الحرب الأهلية بين حماس وفتح تبدو الآن كحقيقة ثابتة في غزة وفي الضفة بدرجة كبيرة تقريبا. الدليل على ذلك لا يكمن فقط في المصادمات العنيفة واعمال القتل والمظاهرات العاصفة، وانما ايضا في الاسلوب الفظ الذي يستخدمه الجانبان.

السياسة الفلسطينية شهدت في السابق عنفا واسلوبا كهذا مثلما حدث في عام 1982 ـ 1983 في أواخر حرب لبنان عندما تمردت مجموعة من قدامى فتح على ياسر عرفات. ولكن مثل هذه المظاهر لم تتكرر منذئذ. ألفاظ مثل الخونة والعملاء الاجانب واللصوص تتردد في كل ناحية وتوجه لشخصيات مركزية. أحد الناطقين بلسان حماس في غزة نعت محمد دحلان «المدعو دحلان»، ولكن هذا المصطلح يستخدم في العادة مع اسوأ العملاء. نعت دحلان بهذه الطريقة يعني ان هناك ضرورة وامكانية لتصفيته. وبالفعل صرح قادة فتح في نهاية الاسبوع الماضي بأنه اذا تعرض نشطاء حماس لعناصرهم فسيحدث حمام دم ضد قيادة حماس.

مكانة فتح متدنية في مواجهة حماس في عملية التجهيز للحرب الأهلية، خصوصا في قطاع غزة. مؤسسات القيادة الفتحاوية لا تعمل، والفروع مفككة وأمين سر الحركة، فاروق القدومي، يتعاون مع خالد مشعل في دمشق علانية. ولكن الأمر لا يقتصر عليه وحده. الرسامة الكاريكاتورية الفلسطينية المعروفة، أمية جحا، نشرت في يوم السبت الأخير في صحيفة «الحياة الجديدة» ـ الصحيفة الرسمية التي يقف على رأسها محررون من فتح ـ تهنئة بعودة رئيس الحكومة الفلسطينية اسماعيل هنية مع عودته الى غزة، وان كانت هذه الصحيفة تفعل ذلك، فهذا مؤشر آخر على حالة الفوضى وعدم الانضباط التي تدب في صفوف حركة فتح.

من الممكن ان تقابل في شوارع غزة والضفة عددا غير قليل من الناس الذين يقولون لك صراحة: نحن نأخذ المال من فتح ونصوت لحماس. ومن هم «اعضاء اللجان الشعبية» في غزة ان لم يكونوا نشطاء فتح الذين ينتقلون الى صفوف حماس عمليا؟.

حركة فتح ضعيفة بسبب حالة الفوضى والفساد، وموت الرئيس ياسر عرفات خلف فراغا قياديا تصعب تعبئته. ولكن يتوجب الاعتراف بالحقيقة وهي أن جوهر ضعف فتح ينبع من ان نهجها السياسي قد مني بالفشل. الخطوة السياسية التي بدأت في قمة مدريد 1991 ـ وربما قبل ذلك في المجلس الوطني الذي عُقد في الجزائر عام 1988 الذي اعترف باسرائيل ـ انطلقت من فتح ووصلت الى طريق مسدود، ليس الآن، وانما قبل ست سنوات عندما اندلعت المجابهات الدموية. ومنذئذ أصبح المسار واضحا: تراجع ونكوص حركة فتح.

محمود عباس

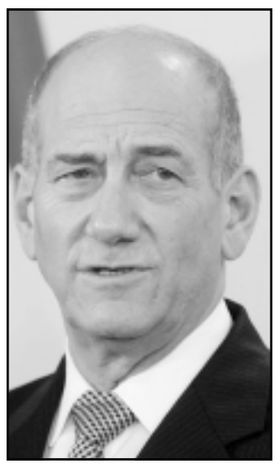

ايهود اولمرت

الذنب مُلقى على عاتق قادة فتح الذين لم يحرصوا على اقامة حكم سليم المعايير في غزة والضفة، ولم يحافظوا على النظام والقانون بما في ذلك في المسائل الأمنية التي تتعلق باسرائيل. ولكن حكومات اسرائيل هي الاخرى أسهمت فيما حدث في سنوات اوسلو بدرجة غير قليلة. اتفاق اوسلو اعتبر في نظر اسرائيل تشريعا لتوسيع الاستيطان في الضفة وبناء أحياء جديدة في شرقي القدس. الحقائق معروفة: عدد المستوطنين في الضفة وشرقي القدس تضاعف في التسعينيات. حركة حماس عززت من صفوفها ليس فقط لان الفلسطينيين أصبحوا أكثر تدينا وتعصبا، وانما لأن سكان الضفة نهضوا في الصباح ورأوا من نوافذهم جدارنا وحواجز جديدة، والمزيد المزيد من الطرق الالتفافية. «أنا أنهض في الصباح وأرى موتي يقترب مني»، كتب أحد سكان قرية من قرى رام الله.

نجاح أبو مازن في مواجهة حماس لا يعتمد عليه وحده اذا، ولا على التدخل الامريكي كما يعتقد بعض الاسرائيليين الذين رحبوا بتقرير بيكر ـ هاملتون. «الرئيس كلينتون، في كامب ديفيد 2000، كان مستعدا للتدخل الامريكي، ولكننا شاهدنا ما حدث»، كتب الصحافي الفلسطيني خضر خضر مؤخرا.

بكلمات اخرى، اذا لم تنجح حكومة اسرائيل في إحداث اختراق في المسار السياسي، فليست أمام أبو مازن وفتح فرصة للنجاح.

داني روبنشتاين
كاتب رئيسي في الصحيفة
(هآرتس) 2006/12/18

الاستجابة للمراودة السورية ستكون مجدية على اسرائيل

نجاح ايران في أكثر من صعيد يجعل سورية تبحث عن بديل

■ تثير اعمال سورية الأخيرة قلقا في اسرائيل يتصل بنواياها. فمن جهة يتوجه ناطقون سوريون الى اسرائيل ـ بل يتوسلون ـ لتجديد الاتصالات بينهما. ومن جهة ثانية لا تقتصد دمشق في التصريحات القتالية، وتعزز القوات في الحدود مع اسرائيل وتُحدث انطباعا بأنها متجهة الى الحرب. لكن قبل أن نرد أقوال مصالحة نظام البعث، يجب أن نفكر في الوضع المركب الذي دُفعت اليه سورية اليوم، وفي المعضلات الرئيسية التي تواجهها.

منذ حرب يوم الغفران أجرت سورية محادثة مع اسرائيل، قامت على رسائل مزدوجة: الاستعداد للتحادث الى جانب استعمال الضغط العسكري. في منتصف السبعينيات بادرت دمشق الى حرب استنزاف، لكي تُحدث موقف مساومة محسنا في التفاوض الذي أجراه هنري كيسنجر لفصل القوات، وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 1993، عشية افتتاح الحوار مع حكومة رابين، شجعت دمشق حزب الله على مهاجمة الشريط الأمني جنوبي لبنان. لا ترى ثقافة المساومة السورية الرسائل المزدوجة تناقضا، بل وجهي القطعة النقدية الواحدة: أي السعي الى تسوية مع أكبر قدر من الوسائل لاحرازها. هذا الوضع يصبح أكثر تعقيدا، وبين يديه الواقع التاريخي الشديد التقلب.

ان الحلف الذي عُقد لحينه بين سورية وايران نبع من كونهما «دولتين معزولتين». ان دمشق ما حافظت على مكانة رفيعة في لبنان وحظيت بتوفير اقليمي من اجل ذلك، فقد كان لنظام آيات الله مصلحة واضحة في الحفاظ على العلاقات الخاصة بين الدولتين.

في ذروة فورة العلاقة العاطفية، لم يخف الايرانيون علاقتهم السيادية على محالفهم الفقير المتقلب. في آب (اغسطس) 1997 عبرت الصحيفة الايرانية «رسالة» عن امتعاضها من العلاقات العرضية لسورية بالولايات المتحدة واسرائيل، وعن مراودتها طهران في أعقاب فشلها. على هذا النحو، كانت سورية ذخرا ايرانيا، ما حافظت على أبواب الدخول للهلال الخصيب. إن ذهاب صدام حسين، وسيطرة الشيعة على جنوبي العراق، والانسحاب السوري من لبنان وفوز حماس، قللت من أهمية نظام البعث. اليوم تستطيع ايران أن تجري حوارا مع جهات عربية من غير ان تحتاج الى وساطة سورية. تستطيع ايران أن تكون عاملا اقليميا بفضلها هي نفسها وأن تحول رسوم الوساطة، السياسية والمادية، الى حلفائها مباشرة. ولم نذكر بعد مكانتها المطورة كقوة ذرية. ان ايران ما حافظت على تقليل ظهورها الاقليمي، كان الحلف مريحا للسوريين. على هذا النحو كانت تستطيع دمشق ان تحافظ على علاقات سوية بدول الخليج الغنية، وأن تستمتع بدعمها المالي وأن تحافظ على مكانة معقولة في الساحة العربية العامة. تغيرت هذه الظروف مؤخرا. ان نجاح الفاعلية الايرانية يُضائل بقدر ملحوظ مجال المداورة السوري. تخاف الجهات المعتدلة في دمشق من أن قبول احتضان الدب الايراني سيجعل سورية عاملا واحدا من بين عوامل كثيرة في الكتلة المعادية لامريكا، وسيعوق امكانية اجراء حوار مع الولايات المتحدة، وسيعمق عزلتها الاقليمية والدولية.

تُعبر خطوات سورية الأخيرة عن الضغط العظيم الذي دُفعت اليه، وعن رغبتها في الخروج من الحصار. اذا ما استمرت اسرائيل في اغلاق أذنيها عن صرخاتها، فانها لن تضيع فرصة السلام فقط، ستساعد ايضا على عقد حلف متشدد يمتد من الخليج العربي حتى البحر المتوسط. إن الاستجابة للمراودات الملتوية لسورية ستخدم المصالح الأمنية لاسرائيل أكثر من كل حيلة اعلامية أو أمنية اخرى.

غاي معيان
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/12/18

أصعب يوم في تاريخ المواجهات الداخلية بين المنظمات الفلسطينية

وقف اطلاق النار بين حماس وفتح هش جدا واحتمال الحرب الاهلية ما زال قائما

■ ان وقف اطلاق النار الذي اتفقت عليه حماس وفتح أمس هش جدا ـ في الأساس إزاء عدم الاتفاق في موضوع الانتخابات المبكرة، وبازاء نشوب العداوة التي لا شبيه لها في الماضي بين نشطاء المنظمتين في غزة.

كان ذلك أصعب يوم في تاريخ المواجهات الداخلية بين المنظمات الفلسطينية. حارب معسكران بعضهما بعضا حتى الموت، وأغلقت الشوارع الرئيسية في غزة وأصبحت منطقة المكاتب الحكومية حومة قتال لبضع ساعات. قام مسلحون من القوة التنفيذية لحماس على أسطح المباني، وأمطروا أفراد الحرس الرئاسي الذين ظهروا في المنطقة بالنار. بين الرشقات حاول عدد من الاولاد دخلوا منطقة القتل خطأ، ان ينجوا بأنفسهم. اشتملت المعارك ايضا على هجوم أفراد حماس على معسكر القوة 17 ـ الحرس الرئاسي ـ باستعمال صواريخ آر.بي.جي والقنابل اليدوية وقصف المواقع بجوار بيت رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، والتلفاز الفلسطيني.

قال أحد الصحافيين الغزيين ان «المنظمات أطلقت القذائف الراجمة مرة على المستوطنات، واليوم تطلقها على الاخوة الفلسطينيين». أغلقت الحوانيت في مركز المدينة وقطعت سبع مدارس على الأقل الدراسة بسبب خطر اصابة الاولاد.

لم يبدُ عن المسؤولين الكبار في حماس وفتح أي استعداد لوقف القتال. وفي اثناء ساعات النهار كلها سُمعت تصريحات تحد في المعسكر الثاني. أعلن رئيس الحكومة، اسماعيل هنية، ان حكومته ترفض تقديم موعد الانتخابات للمجلس التشريعي، في حين التقى أبو مازن متحرشا اعضاء لجنة الانتخابات. خرجت مسيرات تأييد الى شوارع غزة والضفة، ووعد أفراد حماس بالقضاء على دحلان حينما أجرى هو شبه مسيرة انتخابية اولى في جنين الى جانب زكريا الزبيدي.

غمز رئيس مكتب «الجزيرة» وليد العمري الساسة الفلسطينيين بقوله: «سمعنا منهم دائما أن الدم الفلسطيني خط احمر. تبين أن الدم فقط بقي أحمر، واختفت الخطوط». ومع كل ذلك، توصلت الفصائل الفلسطينية الى اتفاق على وقف اطلاق النار لسبب بسيط هو أنه لا يوجد أي طرف يريد الحرب أو الانتخابات. قد يعرف المسؤولون الكبار الفلسطينيون كما في الماضي كيف يقفون في اللحظة الأخيرة، قبل ان يسقط الطرفان معا في هاوية حرب أهلية متصلة.

عمل الطاقم المصري في غزة وممثلو الفصائل امس بجد للتوصل الى تفاهمات أولية مع ممثلي حماس وفتح على وقف اطلاق النار وسحب المسلحين من الشوارع. بمقابلة ذلك التقى أبو مازن في المقاطعة أفراد حماس ـ نائب رئيس الحكومة، ناصر الشاعر ووزير التخطيط سمير أبو عيشة. رأى رئيس السلطة وأفراد حماس الاستطلاع الذي نشره أمس معهد استطلاعات خليل الشقاقي في رام الله، الذي يُبين أي مخاطرة سيخاطرها الطرفان في المضي الى صناديق الاقتراع. ان 61 في المئة من الجمهور الفلسطيني معنيون بانتخابات مبكرة، لكن النتائج تشير الى أن خطوة أبو مازن الشعبية قد تنذر بنهاية ولايته رئاسة السلطة ـ قال 46 في المئة ممن سُئلوا آراءهم انهم كانوا سيؤيدون الرئيس المتولي لو أُجريت انتخابات لرئاسة السلطة، في حين قال 45 في المئة انهم سيؤيدون هنية ـ أي أنه فرق غير طائل.

في المجابهة بين البرغوثي ومشعل على الرئاسة، فاز الاول بتأييد نحو من 56 في المئة إزاء 36 في المئة يؤيدون مشعل. بمقابلة ذلك، لو كانت تُجرى الانتخابات للمجلس التشريعي، فان 42 في المئة ممن سُئلوا آراءهم قالوا انهم كانوا سيؤيدون فتح، إزاء 36 في المئة لحماس. زاد الفرق لصالح فتح بالقياس الى الاستطلاع السابق، ومع كل ذلك فانه قد بينت الاستطلاعات ايضا عشية الانتخابات للمجلس التشريعي في كانون الثاني (يناير) 2006 فرقا مشابها لصالح فتح. ان حماس على أية حال غير معنية بالمخاطرة وتفضل ان تحافظ على قوتها في المجلس التشريعي.

لكن الاستطلاع أو اتفاق وقف النار لم يحلا بعد المشكلة الرئيسية: فقد أعلن أبو مازن عن انتخابات مبكرة. ولم يوجد بعد السلم الذي سينُزله عن هذه الشجرة. قد يكون القتال وقف أمس، لكن استمراره قد يأتي بيقين.

آفي يسيسخروف
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/12/18

رغم التناقض بين اقواله واعماله

ينبغي فحص تصريحات الرئيس السوري ووزير خارجيته بالتنسيق مع الامريكيين

■ نشهد منذ حرب لبنان الثانية هجوم «نغمات سلام» من سورية. هذا هو الهجوم الثاني. ابتدأ الاول بعد زمن قصير من الحرب في العراق في 2003، واستمر بضعة أشهر ثم صمت.

الهجوم الحالي كثيف وأكثر اتصالا، وفي نهاية الاسبوع بلغ ذروة جديدة. ماذا يعني ذلك؟ تميزت «نغمات سلام» سورية الى الآن بأربعة مركبات: التعبير عن رغبة سورية في السلام، وتحديد أن اعادة هضبة الجولان حتى حدود الرابع من حزيران (يونيو) 1967 نقطة انطلاق محادثات السلام مع اسرائيل، وأن المحادثات ستبدأ من النقطة التي عندها وقفت في بداية سنة 2000، أي بتخل اسرائيلي عن هضبة الجولان، وزعم أن اسرائيل لا تريد السلام لان حكومتها ضعيفة، وتُطيع أوامر الرئيس بوش بألا يُتحدث الى سورية، وكذلك تهديد أن فرصة السلام آخذة في النفاد، وأن سورية لن تستطيع ألا تتوجه الى العنف.

وهنا في نهاية الاسبوع الماضي تصاعدت نغمات «الألحان». في مقابلة مع صحيفة ايطالية وجه بشار الأسد دعوة مباشرة الى رئيس حكومة اسرائيل: «خاطر، وتعال افحص هل نكذب أم لا». عرف وزير الخارجية السوري (الذي التقى في اثناء حرب لبنان الثانية قيادة حزب الله وأعلن متأثرا بأن سورية ستستقبل حربا مع اسرائيل بالمباركة) ان يقص على صحيفة «واشنطن بوست»، أي على مسامع امريكية، ان سورية لم يعد لها شروط مسبقة للتفاوض مع اسرائيل. لها أهداف فقط ولا تضع مطالب.

ما الذي يحث السوريين؟ ما هو الفلفل الذي دخل في مقاعدهم ويدفعهم الى ألا يتخلوا عن ألحان السلام؟ الحقيقة أن هذه الحماسة السورية تبدو لي مبالغا فيها وليست طبيعية جدا. هل حدث وضع أصبح فيه بيتهم يحترق فجأة، واذا لم يُطفئوه بمحادثات السلام فسيحترق احتراقا كاملا؟ هل هبطت عليهم فجأة روح السلام كمثل اليسار الاسرائيلي، ويريدون ان يتفهمونا وان يصالحونا؟ هل هم يخافون حقا من اقامة محكمة دولية للتحقيق في مقتل الحريري، تكشف عن مشاركة القيادة السورية، بحيث يفكرون أن البدء في حوار مع اسرائيل سيجعد اقامتها؟ واذا كانت رغبتهم قوية الى هذا الحد في السلام، فلماذا يتكلمون فقط ولا يفعلون شيئا؟ لماذا لا يتوجهون الى السعوديين، أو الى المصريين أو الى الالمان، على نحو منظم يطلبون فتح قناة تحادث معنا؟ لماذا لا يظهرون أقل رغبة في التفضل؟ لماذا يشعلون النار في لبنان وبموازاة ذلك يقولون للعالم انهم يستطيعون اطفاء النار هناك، وكل ما يُحتاج اليه هو أن تُستدعى سيارات اطفائهم؟ يوجد عندي الكثير من الاسئلة، وليست عندي اجابات جيدة. أعلم شيئا واحدا بيقين: يريد السوريون هضبة الجولان كلها بأدنى ثمن. كيف يجب ان نرد اذا؟ هل بحماسة زائدة يظهرها بعض السياسيين ورجال الاعلام، صادرين عن اعتقاد ان أمامنا فرصة تاريخية لعقد اتفاق سلام مع سورية سيحطم «محور الشر»، وصادرين عن خوف من أن رفضنا سيعرضنا لحرب فظيعة، ولن نتحدث عن لجان تحقيق راسخة؟ أم قد يكون ذلك بعدم الاكتراث، وبالتجاهل، وبوضع الطلب والشرط ان على السوريين قبل كل شيء ان يغيروا سلوكهم السيء داخل «محور الشر»؟ أم قد يكون من الواجب أن نتجه الى استيضاح سري وموضوعي الى أين يتجه السوريون في الصعيد الاستراتيجي الاقليمي، قبل أن ندخل نقاشات العلاقات الاسرائيلية السورية؟.

أم ربما يحسن ان نسلك سلوك الصيادين، الذين يبعثون الدخان في جحر الحية من اجل إرغامها على الخروج؟ أي ان يرد رئيس الحكومة معلنا لبشار الأسد ولوزير خارجيته بقوله: أدعوك الى المجيء الى القدس، أو الى أي مكان آخر في اسرائيل تختاره، ولنتحدث في مشكلات المنطقة الصعبة. كل شيء بلا شروط مسبقة، كما قال وزير خارجيتك. واذا استطعت فاجلب معك عظام إيلي كوهين. واذا رفضت متذرعا بذريعتكم التقليدية وهي أنكم تخالفون جميع الشعوب ولا تتفضلون قبل أن تحصلوا على «السلعة» ـ ففي المرة القادمة، عندما أجيء الى دمشق، سأستطيع بيقين ان أعود الى اسرائيل بجثته.

لو كنت أملك شيئا، لما كنت رددت لا بحماسة ولا بعدم اكتراث. فوق كل شيء كنت سأهتم بالتنسيق مع الولايات المتحدة.

عاموس غلبوع
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/12/18

في اشارة لفشل المساعي الدولية لتنظيف الشرق الاوسط من السلاح

الدول العربية تسعى للحصول على السلاح النووي خوفا من التهديد الايراني

■ حلم الدكتور مدير عام وكالة الطاقة النووية «محمد البرادعي» المفزع تلقى في هذا الاسبوع تأكيدا بأن اليوم الذي سيتحول فيه الى واقع ليس ببعيد. وزراء مجلس التعاون الخليجي اجتمعوا في الرياض واتخذوا قرارا بدراسة امكانية تطوير خطة نووية. الدول الخليجية العضوة في المجلس تخشى من مساعي ايران المتواصلة للحصول على سلاح نووي.

صحيح أن هذه الدول صرحت بانها تنوي بناء مشروع نووي سلمي الا ان ايران تدعي ذلك ايضا. وكانت قد سبقتها في ذلك كل من الهند وباكستان من أجل تبرير انشاء مشروعها النووي الذي ينتهي به المطاف الى مشروع سلمي ـ عسكري.

بذلك تنضم دول الخليج الى مصر التي أعلنت قبل ثلاثة اشهر بانها ستستأنف مشروعها النووي الذي تم تجميده إثر كارثة تشيرنوبل. تركيا ايضا أوضحت مؤخرا بأنها تنوي بناء مفاعلات نووية لانتاج الكهرباء. تضاف الى ذلك المغرب والجزائر وسورية التي تملك بدرجات متفاوتة بنى تحتية نووية وبامكانها ان تطورها.

الشرق الاوسط يسرع من تسلحه النووي وهذا هو الخطر الذي يحذر منه البرادعي في السنوات الاخيرة. مدير عام وكالة الطاقة الذي حظي بجائزة نوبل للسلام بسبب جهوده لتقليص الانتشار النووي يدعو منذ سنوات الى تحويل الشرق الاوسط الى منطقة خالية من السلاح النووي. هذه دعوة موجهة بالدرجة الاولى ضد اسرائيل التي يعتقد الجميع أنها تملك سلاحا نوويا حتى من دون الحاجة الى زلة لسان رئيس الوزراء. اسرائيل لا تعارض الفكرة من حيث المبدأ الا انها تعتقد أن هذا النقاش يجب ان يجري بعد اعتراف كل الدول العربية باسرائيل وتوقيعها على اتفاقيات سلمية وأمنية معها.

للوهلة الاولى يبدو ان خطوات التسلح النووي في الشرق الاوسط تؤكد صدق موقف البرادعي ولكن ان كانوا يبحثون عن المذنبين لاتهامهم ـ فيبدو أن البرادعي اكثر تحملا للذنب من اسرائيل من التدهور النووي الحاصل. وكالته نامت خلال الحراسة ولم تبدأ في الاستيقاظ الا في عام 2002 في ظل تجاوز ايران لالتزاماتها للوكالة ولمعاهدة حظر نشر السلاح النووي. ولكن حتى بعد تكشف اكاذيب ايران واصلت الوكالة الدولية المراوحة في مكانها. بدلا من الاعلان عن طهران كدولة «مارقة» فضل البرادعي صياغة تقارير تسووية ومحاولة التفاوض معها الامر الذي وفر لها المزيد من الوقت وتطوير قدراتها النووية. طهران اصبحت اليوم قريبة جدا مما تسميه المخابرات الاسرائيلية «العتبة التكنولوجية» التي تسمح لها ـ بعد عامين أو ثلاثة من اجتيازها ـ بانتاج قنبلتين الى أربع قنابل نووية. لو كان البرادعي قد صاغ تقاريره بطريقة أكثر حدة لتم نقل القضية لمجلس الامن قبل ثلاث سنوات وليس في شباط/ فبراير (2006) فقط وعندها كان من الممكن ان يكون فرض عقوبات واسعة اكثر نجاعة.

جهود ايران ومساعيها لتطوير السلاح النووي هو جزء من تاريخها وهو لا يرتبط باسرائيل بالاساس. الشاه السابق هو الذي كان قد أعد البنية التحتية وبعد فترة توقف محددة ابان حكم الخميني. بسبب الحرب مع العراق والمعارضة العقائدية للسلاح النووي تم استئناف المشروع في ظل القيادة الايرانية الاسلامية بمن فيها هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي اللذان يعتبرهما الغرب «معتدلين».

تطلع ايران المنهجي للحصول على السلاح النووي ينبع من اعتزاز قوي ورغبة في الحصول على مكانة عظمى اقليميا. هي ايضا نتيجة للصدمة الصعبة التي نجمت عن استخدام صدام للسلاح الكيماوي ضدها. كما أن ايران تتطلع كذلك الى تحقيق قدرة ردعية ضد ما تعتبره تهديدا لها من قبل واشنطن واسرائيل.

من الناحية الاخرى تعتبر الدول العربية خصوصا مصر والسعودية سعي ايران للحصول على السلاح النووي تهديدا شيعيا للاسلام السيء. افرايم اسكولاي عضو لجنة الطاقة النووية كان قد اشار الى ذلك قبل ثلاث سنوات خلال مقالة نشرها في مركز يافي للدراسات الاستراتيجية. اسكولاي يعتقد ان الخوف السيء من القنبلة الشيعية قد دفع السعودية الى التوصل الى تفاهم سري مع الباكستان حول الصفقة التالية:

السعودية تبرعت وساهمت في المشروع النووي الباكستاني وحصلت على تعهد من اسلام اباد بتوفير «مظلة نووية» للسعودية. السعودية تملك وسائل اطلاق وقد اشترت قبل 20 سنة صواريخ بعيدة المدى (3000كم) من انتاج الصين.

وهكذا رغم ان الدول العربية تواصل اعتبار اسرائيل النووية مصدر تهديد للاستقرار الاقليمي ـ الا ان قرارات هذه الدول بالسعي للحصول على السلاح النووي نابعة بالاساس من خوفها من التهديد الايراني.

يوسي ميلمان
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/12/18

بيكر في تقريره يتجاهل الواقع كما تجاهله في الماضي مع التوصية بالتضحية باسرائيل من اجل مصالح الولايات المتحدة الامريكية

■ سارع ساسة ومحللون في اسرائيل الى تفسير توصيات تقرير بيكر ـ هاملتون، انها تبشر بتغيير جذري لسياسة الولايات المتحدة من منطقتنا، وبخاصة من النزاع مع الفلسطينيين. أكبر البعض عندنا الفعل إذ استنتجوا ان سورية تبحث عن سبيل للهرب من «محور الشر» الشيعي، لتنضم الى المعسكر العربي السني، المعتدل.

الآن، وقد زال الغبار وتجمعت كمية من الردود على التقرير، وفي ضمنها تلك الصادرة عن الرئيس بوش ووزيرة الخارجية رايس، يمكن أن نُقدر وزنه وتأثيره تقديرا أفضل.

لقد عرفنا بيكر معرفة جيدة، عندما أجرى في سنة 1991 الرحلة المكوكية، التي انتهت الى عقد مؤتمر مدريد. منذ أن استقال، أقام مؤسسة بحث باسمه في تكساس. يقف على رأس المؤسسة ادوارد جرجيان، من قدماء المستعربين في وزارة الخارجية، الذي عمل مستشارا للجنة بيكر ـ هاملتون ويلاحظ تأثيره في صوغ توصياتها. يُعرف تصور بيكر وبوش الأب بلقب «الواقعي»، بازاء تصور بوش الابن ونائبه تشيني الذي يسمى «محافظ جديدا». يقول بيكر وأمثاله ان على الولايات المتحدة أن تعمل مع نظم الحكم في المنطقة كما هي، وأن تخدم بذلك المصلحة الامريكية. كان هذا هو الخط الأساسي في سياسة الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية، بايحاء من المستشرقين في المؤسسة، وبمساعدة شركات النفط. بمقابلة ذلك، زعم المحافظون الجدد أن هذه السياسة قد أفلست، وأنها تعزز نظم الحكم الطاغية و«محور الشر»، الذي ولّد الارهاب كالقاعدة، وحزب الله وكل ما تبقى. وعلى ذلك، عمل الأخيرون في اسقاط صدام حسين، وأيدوا استعمال الضغط، حتى العسكري، للنظم التي تؤيد الارهاب، مثل طالبان، وايران وسورية.

ان جيمس بيكر محام لامع، امتاز بقدرته على الربط بين الأطراف والبحث عن التسويات، بلا مشاعر زائدة، ومن غير اعتبار لتوجهات الأطراف ومطامحها التي توسط بينها. لهذا نجح، بجهد عنيد، في عقد مؤتمر مدريد. من اجل احراز هدفه، تجاهل بيكر مساعدة سورية للارهاب وسيطرتها على لبنان، ودفع الى مشاركة وفد فلسطيني، رغم أنه كان مفوضا من م.ت.ف في كل شيء. ان الصيغ التي صاغها بيكر، والتي كانت تهدف الى ان تكون قاعدة للمؤتمر وللتفاوض الذي يتلوه، كانت متكلفة ومصنوعة. أغلق بيكر مسمعيه عن إلحاح اسحق شامير، على أن المؤتمرات الدولية واجراء التفاوض في الآن نفسه مع عدة جهات عربية، لن يُقدما الطموح الى تسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي. أسهم مؤتمر مدريد في العلاقات العامة لادارة بوش الأب لكنه لم يثمر فائدة حقيقية. وفي نهاية الأمر، انتهى التفاوض الذي أُجري في أعقابه الى الفشل ايضا.

يتابع تقرير بيكر ـ هاملتون المسار نفسه. انه يتجاهل طابع نظم الحكم في سورية وايران، ونشاطهما العنيف والارهابي، ويدعو الى تجنيدهما من اجل تسوية في العراق. إن الاغراء الذي يمده بيكر اليهما على حساب اسرائيل هو عقد مؤتمر اقليمي من غير اسرائيل، واقتراح تسوية على سورية لقاء الانسحاب من هضبة الجولان، وتحقيق «خريطة الطريق»، التي اشترك بيكر في ابتداعها. ان التطرق في التقرير الى «حق العودة»، الذي هو صيغة يشايعها الفلسطينيون، بدل التطرق الى «مشكلة اللاجئين»، يميز روح تفكير بيكر.

لم تجدد توصيات بيكر ـ هاملتون المتصلة بالعراق شيئا، وقد بُحث بعضها أصلا في اطار استعداد من جديد، يتم برئاسة الرئيس. يتبين في سائر الموضوعات أن ادارة بوش لا تنوي الأخذ بها.

يوسي بن اهارون
كان المدير العام لديوان رئيس الحكومة اسحق شامير وترأس وفد التفاوض مع سورية
(معاريف) 2006/12/18

إنهاء الصراع كما يدعو بيكر يؤثر بدرجة كبيرة على التوتر في المنطقة وعلى مكانة اسرائيل وامريكا

■ الناطقون بلسان حكومة اسرائيل، وعلى رأسهم وزيرة الخارجية تسيبي لفني، الذين رفضوا ما جاء في تقرير بيكر ـ هاملتون حول العلاقة بين حل أزمات الولايات المتحدة في الشرق الاوسط وبين حل الصراع الاسرائيلي ـ العربي، مُدعين أن الشرق الاوسط اليوم ليس نفس الشرق الاوسط الذي كان بيكر يعرفه عند جر اسحق شامير الى مؤتمر مدريد خلافا لرغبته ـ هم لم يخطئوا في قولهم هذا. هناك مد اسلامي راديكالي متعاظم وامبراطورية شيعية تسعى باندفاع متسارع لحيازة السلاح النووي، وقد تجر دولا مثل مصر والسعودية من ورائها، ونظام سورية يقدم الرعاية والحماية لمنظمات ارهابية، ومعارضة اسلامية راديكالية في السلطة الفلسطينية ولبنان وعرضة حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة للأعداء بعد انهيار الزعامة الامريكية ـ كل هذه الامور حولت الشرق الاوسط الى موقع أخطر مما كان عليه في ايام بيكر في وزارة الخارجية بأضعاف المرات. الحاجة الى السلام بين اسرائيل وجاراتها أصبحت أشد إلحاحا من ذي قبل.

صحيح أن الصلة التلقائية التي جسدها تقرير بيكر كما يبدو لاول وهلة بين استقرار الوضع في العراق وحل الصراع العربي ـ الاسرائيلي قد تلقت انتقادات مشروعة في الولايات المتحدة واسرائيل. مثل هذه العلاقة التجريدية المباشرة غير موجودة فعلا. كما ان السلام لم يكن ليسقط علينا مثل سحر من السماء لو تم تقليص أبعاد حمام الدم العراقي.

كما لا يوجد شك ان الكثير من أمراض المنطقة لا ترتبط بالصراع العربي ـ الاسرائيلي بالمرة. صدام حسين كان سيغزو الكويت ويقصف أبناء شعبه بالسلاح الكيماوي حتى لو لم تستوطن اسرائيل في يهودا والسامرة، كما أن مذبحة دارفور لا ترتبط هي الاخرى بسيطرتنا على المناطق. ومع ذلك، سيكون لحل الصراع الاسرائيلي ـ العربي تأثير بعيد المدى على احتمالات اعادة الاستقرار الى المنطقة كلها وعلى مكانة اسرائيل وامريكا كذلك. الاختبار والمحك لمصداقية الولايات المتحدة في الشرق الاوسط لا يتجسد في قدرتها على احراز الانتصار في العراق، هذا الانتصار غير المحقق الآن. السلام الاسرائيلي ـ العربي الذي تقوده الولايات المتحدة هو محك حقيقي لمصداقية واشنطن في نظر شعوب الشرق الاوسط. العلاقة بين الامور ليست تلقائية كما أسلفنا، وهي بدرجة كبيرة مسألة تجريدية على مستوى الوعي.

ادوارد سعيد اعتاد الادعاء بأن قدرات اسرائيل العسكرية والتكنولوجية هي المقياس الذي تُحسب بناء عليه درجة فشل المجتمع العربي. هناك علاقة مباشرة عميقة بين مشاعر الاذلال والاهانة التي تشعر بها شعوب الدول العربية ونخبها الفكرية والثقافية من استمرار السيطرة الاسرائيلية المديدة على الفلسطينيين، وما يبدو كحملة صليبية من الولايات المتحدة ضد الاسلام، وبين الغضب الشعبي الذي يطل برأسه مثل جبل بركاني ويهدد باسقاط الانظمة العربية المؤيدة للغرب في المنطقة ـ تلك الانظمة التي تحاول التوصل الى تسوية تعايش مع الدولة اليهودية.

قد يكون القادة العرب قد أيدوا حرب اسرائيل ضد حزب الله، إلا ان شعوبهم استشاطت غضبا واحباطا من هيمنة سلاح الجو الاسرائيلي المتغطرسة على الأجواء اللبنانية وتدميره للبنى التحتية والدعم الامريكي الجلي. «أين العرب حتى يزيلوا وصمة العار عن جبيني؟» سأل خليل حاوي، الشاعر اللبناني المعروف، من قبل ان يطلق النار على نفسه عندما علم بتغلغل المدرعات الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية في مطلع حزيران (يونيو) 1982. هذا الانتحار هو صورة مضخمة شاعرية للمشاعر الباطنية التي تسود في العالم العربي اليوم أكثر من ذلك الوقت.

ذلك لأن هذه المشاعر ترتبط أكثر من أي وقت سابق بادراك ازدواجية المعايير الامريكية في المنطقة ـ معيار لاسرائيل وآخر للعرب والاسلام ـ هذا في الوقت الذي لم يعد فيه الصراع بين اسرائيل وجاراتها مجرد مجابهة وطنية كما كان في ايام بيكر عندما كان في وزارة الخارجية، وانما صراعا ذا صبغة دينية وثقافية تحوله الى صراع أكثر خطورة وأشد بلاء. في العالم الغربي، وخصوصا في اوساط الشعوب العربية تكرس الافتراض بأن حرب الولايات المتحدة في العراق لم تكن إلا محاولة من المحافظين الجدد اليهود المحيطين ببوش لتحويل الشرق الاوسط الى منطقة أكثر أمنا لاسرائيل، وإتاحة المجال أمامها لتكريس سيطرتها على الفلسطينيين. كما أن الاصلاحات الديمقراطية التي حاولت واشنطن فرضها على الدول العربية حيث تعتبر اسرائيل النموذج الغربي المحتذى، عززت الشعور بوجود مؤامرة اسرائيلية ـ امريكية. كتاب نتان شيرانسكي حول سحر الديمقراطية أصبح واسع الانتشار في امريكا بسبب كونه مصدر إلهام لبوش.

من الممكن طبعا الغاء ردود فعل «الشارع العربي» الرديف المتعالي لما يسميه الغرب «الرأي العام» باعتبارها مسألة غير منطقية أو تعبيرا عن وضع مجتمع راكم الاحباطات بسبب لقاءاته الفاشلة مع الحضارة الغربية. وفي الجيل الأخير أضيفت تحديات العولمة. ولكن ذلك لن يجلب الخلاص، لا لنا ولا للامريكيين. الغضب والاحباط لا يتوقفان عند حدود المشاعر، وانما يعتبران واقعا سياسيا يملي السياسات المتبعة. وهو يرى في انتهاء السيطرة الاسرائيلية على الفلسطينيين شرطا هاما وإن لم يكن وحيدا للمصالحة مع الولايات المتحدة والغرب.

شلومو